**مقدمة**

أدت الجهودالمتواصلة للمفكرين السياسيين على امتداد فترة طويلة من الزمن إلى تطور دراسة الظواهر السياسية على الصعيدين المنهجي والفكري، ما أدى بدوره إلى نشأة علم السياسة في سياق عملية التطور هذه، فعلم السياسة من أحدث العلوم الإجتماعية، والمفاهيم والقضايا التي يعالجها كانت ولا تزال موضع خلاف وجدل بين المفكرين السياسيين نظرا لتداخل المعطيات المكونة للظواهر السياسية، ولانتماء الباحثين السياسيين إلى مدارس فكرية مختلفة، انعكس كل ذلك على الشكوك التي تدور حول علمية هذا العلم.

إن العلم بمنهجه لا بمضمونه فحسب، ذلك المنهج الذي يشكل جوهر التفكير العلمي أيا كان موضوع هذا العلم وذاك التفكير، ويتخذ مجموعة إجراءات ذهنية بين العقل والظاهرة المستهدفة والتي اصطلح على تسميتها بالمناهج قصد بلوغ المعرفة، أي الكشف عن حقيقة الظاهرة، أو موقف العقل المتقدم منها للتعرف على حقيقة ما يحيط به من أشياء في المجتمع، فلم يعد البحث العلمي أمر يترك لاجتهاد الباحث ولا يعتمد فقط على قدراته الذاتية، وإنما أصبح اصطلاح البحث العلمي يعني الإلتزام بمجموعة من الخطوات والقواعد التطبيقية التي تحكم الإطار الفكري الذي يعمل بداخله عقل الباحث " الأسلوب العلمي ".

**المحور الأول: البحث العلمي:**

أولا: مفهوم البحث العلمي

تتألف العبارة من كلمتين: البحث ومعناه التقصي والطلب، وعليه يكون المعنى اللغوي للبحث هو طلب وتقصي حقيقة ما. أما لفظ علمي فهو منسوب إلى العلم والذي يُعرّف بأنه مجموعة القواعد والمبادئ التي تفسر الظواهر وتكشف عن العلاقات القائمة بينها، واستنادا إلى ذلك فإن البحث العلمي يعني التقصي المنظم باتباع أساليب ومناهج محددة في دراسة المواضيع المختلفة (3).

إن كلمة البحث يمكن اعتبارها مصدر العلم، لأنه لا علم بدون بحث منظّم، وبهذا المعنى لا يمكن أن تخرج الغاية من البحث العلمي وإن اختلفت ميادينه عن واحدة من الغايات التالية: اختراع العلوم، جمع متفرق، تكميل ناقص، تفصيل مجمل، تركيب مختلط، تبيين خطأ، أو علاقات جديدة. كان ذلك المعنى اللغوي الذي اتفق عليه الباحثين والمهتمين بعلم المنهجية ودلالات المعنى، فالبحث العلمي يجب أن يقترن بالغايات التي حددها من سيقوم به.

أما المعنى الإصطلاحي للبحث العلمي فقد تعددت تعريفاته بحسب تنوع مشاربه، وإن كانت تؤكد في مجملها على استخدام الطرق والأساليب العلمية للوصول إلى حقائق جديدة والتحقق منها والإسهام في نمو المعرفة الإنسانية، من خلال اكتشاف حقيقة موضوع معين ومعرفة القواعد التي تحكمه والتي تبقى نسبية وقابلة للتطوير والتغيير عندما يثبت قصور معلومات أو عجزها عن تفسير الظاهرة موضوع البحث العلمي.

ولتدليل الفهم حول ما سبق يمكن أن نورد عدد من التعريفات في إطار البحث عن تحديد مفهوم البحث العلمي مع مراعاة التوجهات المختلفة التي حاولت تعريف المفهوم.

هناك من يرى في البحث العلمي وسيلة للاستقصاء المنظم والدقيق الذي يقوم به الباحث بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، بالإضافة لتطوير أو تصحيح المعلومات الموجودة فعلا، على أن يتبع في هذا الفحص والإستعلام الدقيق خطوات المنهج العلمي، مع اختيار الطريقة أو الأسلوب والأدوات اللازمة للبحث وجمع البيانات والمعلومات الواردة في العرض بحجج وأدلة وبراهين ومصادر كافية.

ويرى اتجاه آخر في البحث العلمي عرض مفصل أو دراسة متعمقة تمثل كشفا لحقيقة جديدة أو التأكيد على حقيقة قديمة سبق بحثها وإضافة شئء جديد لها، أو حل مشكلة كان قد تعهّد بها شخص الباحث.

وهناك تعريف مفاده أن البحث العلمي هو نشاط علمي منظّم، وطريقة في التفكير واستقصاء دقيق يهدف إلى اكتشاف الحقائق معتمدا على مناهج موضوعية من أجل معرفة الترابط بين هذه الحقائق واستخلاص المبادئ العامة والقوانين التفسيرية(4).

يظهر مما سبق بأن هناك تعاريف للبحث العلمي تؤكد على استخدام الطرق والأساليب العلمية للوصول إلى حقائق جديدة، بينما تؤكد أخرى على الجوانب التطبيقية للمعرفة العلمية في حل مشكلات عملية معينة في الحياة.

ثم إن تعريف البحث يختلف باختلاف أنواع البحوث ومجالاتها وأهدافها ووسائلها وأدواتها، ذلك ما يقف وراء اختلاف تعريفات المصطلح، فإذا كان البحث العلمي يعتمد وسائل علمية تبتعد عن كل الميول والمؤثرات الشخصية التي قد تؤثر على النتائج، بالإضافة لإمكانية التثبت من النتائج في أي وقت مع إمكانية التعميم والخروج بقواعد عامة لتفسير الظاهرة ومن ذلك القدرة على التنبؤ والتي تكون دقيقة في العلوم الطبيعية، فإن العلوم الإجتماعية والإنسانية لا تحتوي الدرجة نفسها من الدقة وبالتالي التنبؤ، وذلك لكثرة المتغيرات والعوامل التي يصعب ضبطها(5).

ثانيا: أنواع البحث العلمي

تختلف أنواع البحوث في العلوم الطبيعية عنها في العلوم الإنسانية، وعليه فإن مشكلة علمية أي حقل معرفي ناشئ حال العلوم السياسية مرهونة أساسا باستخدامه للمنهج التجريبي والنموذج الطبيعي للعلم والذي يُعد الإطار المرجعي الذي يجب أن تعتمده العلوم الإنسانية عامة إذا أرادت أن تحقق لنفسها صفة العلمية.

ومع الإقرار بوجود اختلافات بين الظواهر الطبيعية المادية وبين ظواهر الإجتماع الإنساني، فإن ذلك يستلزم إقرارا باختلاف المنهج والأدوات التي تستخدم في دراسة القطاعين المتمايزين، فموائمة النموذج الطبيعي لوسيلة الضبط – المنهج التجريبي مع موضوعاتها المادية – فإن العلوم الإجتماعية تسعى لنفس الهدف بأسلوب مختلف، أي محاولة تحقيق الضبط لدرجة كافية بوسائل أخرى.

وتختلف البحوث العلمية من حيث أنواعها على حسب معايير التصنيف المتبعة في ذلك، والتي تؤسس غالبيتها للفروق الأساسية بين خصائص العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، من حيث قيام الأولى على ظواهر الكون المادي، وتشكل الثانية على ثلاثية الإنسان والمجتمع والتاريخ بظواهرها المختلفة ما يطبعها ببعض الخصوصية التي تجعل من الدراسة العلمية لها أكثر صعوبة، وتتلخص هذه الصعوبة في عاملين أساسيين: أولهما طبيعة العلاقة بين الباحث والظاهرة أو موضوع المعرفة، وثانيهما يتعلق بنوعية الظاهرة الإنسانية وخصوصيتها.

وإجمالا يمكن حصر أنواع البحوث العلمية في التقسيمات التالية:

1-حسب طبيعة البحوث ودوافعها يمكن التمييز بين:

* 1. - البحوث النظرية:

وتعتمد أساسا على الفكر والتحليل المنطقي والمادة الجاهزة والموجودة عادة في المكتبات، والدافع لهذا النوع من البحوث هو السعي وراء الحقيقة وتطوير المفاهيم النظرية ومحاولة الوصول إلى تعميمات تنميةً للمعرفة العلمية بغض النظر عن نتائج البحث أو فوائده النفعية، فهو إذن يستهدف إشباع الحاجة للمعرفة دون النظر إلى تطبيق نتائجه في المجال العملي.

* 1. البحوث العلمية التطبيقية:

ويقوم فيها الباحث بمحاولة إيجاد حل لمشكلة قائمة أو علاج لموقف معين، ويعتمد هذا النوع من البحوث على التجارب المخبرية وكذا الدراسات والأساليب الميدانية للتأكد من إمكانية تطبيق النتائج في الواقع (9)، مثال ذلك البحوث التي تجريها الشركات بغية إيجاد حلول لمشاكل التسويق.

- كما وتصنف البحوث بحسب مناهجها إلى:

## البحوث الكمية:

أي البحوث التي تعتمد أساسا على استخدام الأساليب الكمية في معالجة موضوع البحث ووصف نتائجه، فهي بحوث تهتم بجمع البيانات من استعمال أدوات قياس كمية كالإستبيان والإحصاء.

* 1. البحوث النوعية:

وهي البحوث التي تعتمد أساسا على الأساليب الكيفية والنوعية في معالجة موضوع البحث ووصف النتائج التي انتهى إليها، هي بحوث تعتمد أساسا على دراسة الظاهرة في ظروفها الطبيعية باعتبارها مصدرا مباشرا للبيانات، ويتم جمع البيانات بواسطة أدوات مثل الملاحظة والمقابلة وفحص الوثائق، ويتم عرض البيانات بطريقة وصفية تستخدم الكلمات دون الأرقام، كما لا يمكن تحديد مشكلة الدراسة بوضع الفرضيات أو الأسئلة مسبقا، بل يتم وضعها أثناء عملية جمع البيانات.

3- كما يمكن تقسيم وتصنيف البحوث العلمية حسب تصميمها إلى:

* 1. البحوث التجريبية:

هي البحوث التي تعتمد في جمع بياناتها واختيار فروضها واستخلاص نتائجها على إجراء التجارب، وتنقسم بدورها إلى:

-بحوث تجريبية معملية:

وتقوم على التجربة المعملية التي تكشف العلاقة السببية بين المتغيرات المؤثرة في الظاهرة محل البحث، مع إمكانية استخدام التجربة لاختبار فرض أو أكثر لتقرير العلاقة السببية بين المتغيرات المؤثرة في الظاهرة، بمعنى أنه يمكن التحكم في هذه المتغيرات بدقة وعزل بعضها، بالإضافة لإمكانية السيطرة على ظروف التجربة.

-بحوث تجريبية بيئية:

وهي التي لا يمكن فيها التحكم في جميع المتغيرات المؤثرة في الظاهرة موضع الدراسة، وإنما في عدد محدود منها، فضلا عن خروجها من حيث التطبيق من نطاق المعمل الضيق إلى نطاق البيئة المتسع، مما يؤدي إلى زيادة صعوبة التحكم في معظم المتغيرات، هذه النوعية من البحوث التجريبية تُعَد إحدى الوسائل الأساسية لجمع البيانات في البحوث الإجتماعية عامة.

2.3-البحوث غير التجريبية:

هي بحوث تهتم بدراسة التغيرات الحاصلة على الظواهر المختلفة، ومعدل هذا التغير، والعوامل المؤثرة فيه ضمن فترة زمنية محددة، ويعمل على ضبط العناصر المتغيرة، ويندرج في إطارها:

-البحث التاريخي:

والذي يهدف لفهم وتحليل وتفسير أحداث ومواقف ماضية وصولا إلى نتائج تتعلق بأسباب هذه الأحداث وآثارها واتجاهاتها، أي فهم ما حدث وتفسير ما يحدث وتوقُع الأحداث المقبلة. ويقوم البحث التاريخي على جمع البيانات من خلال المصادر الأولية كالوثائق والمخطوطات والتقارير والمقابلات وغيرها، رغم أن كثيرين يعتبرون المعرفة التاريخية معرفة جزئية لا يمكن الحصول فيها على معرفة كاملة للماضي، وعليه فهي تُعتبر كمعرفة ثانية مساعدة في تحقيق باقي المعارف.

-البحوث الوصفية:

تهدف هذه البحوث لدراسة الظواهر والمواقف والأحداث كما هي عليه في الواقع، يعمل الباحث على وصفها بدقة من خلال التعبير النوعي الذي يصف الظاهرة ويوضح خصائصها، وأحيانا تتعدى الدراسة الوصفية التشخيص الوصفي إلى تقرير ما يجب أن تكون عليه الظاهرة موضوع البحث في ضوء شروط ومعايير معينة مع تحديد أساليب بلوغ ذلك، ويستخدم الباحث في هذا النوع من البحوث أدوات كالإستبيان والملاحظة والمقابلة وغيرها من الأدوات(11).

4- يعتمد كثيرين على طبيعة الموضوع بتساؤلاتها وفروضها في تقسيم أنواع البحوث العلمية إلى:

* 1. بحوث استطلاعية أو كشفية:

هي بحوث تُعنى بمحاولة اكتشاف ميدان وبؤرة وجود الظاهرة ومدى انتشارها وطبيعة الفاعلين فيها، ويستعين الباحث بهذا النوع من البحوث إذا كانت البيانات والمعلومات الأولية المطلوب توافرها قبل مباشرة البحث قليلة، ولهذا النوع أهمية علمية كبيرة حيث تحقق للباحث جملة من الأهداف، منها:

1. بناء تساؤلات البحث وفروضه.
2. استيضاح المفاهيم المرتبطة بموضوع البحث.
3. إمكانية ربط الجانب النظري بمجال التطبيق.

ونقصد بتلك الأهداف أن طبيعة التساؤلات والفرضيات المُوجّهة للبحث لا تبنى من فراغ أو بشكل عشوائي، بل لا بد من المعرفة الكافية بالظاهرة موضوع البحث من حيث مكان تواجدها، الفاعلين فيها، تأثيراتها...، كدراسة مثلا دور الجماعات غير الرسمية داخل المؤسسة من حيث وجودها وحجمها ومدى خطورتها وغير ذلك.

2.4-البحوث الوصفية التشخيصية:

يكون الهدف عادة من هذا النوع هو معرفة كيفية حدوث الظاهرة، وذلك عن طريق وصف ملامحها أو مظاهرها، والعلاقة بين متغيراتها، ثم تشخيصها من خلال البحث في حالتها السابقة وكيفية تطورها للحالة الراهنة، وحقيقة انتشارها وتأثيراتها على المحيط الذي تتواجد فيه ومن ثم مصيرها، بهذا مثلا يمكن دراسة موضوع من قبيل العولمة والتحولات الدولية الراهنة من حيث البحث عن متغيراتها السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية-الحضارية، وفيما كانت تلك مظاهر وتجليات للعولمة أم هي مجموعة تداعيات لها.

من أهم أهداف البحوث الوصفية التشخيصية، مايلي:

* عرض ملامح الظاهرة بدقة ووضوح لتيسير فهمها وإدراكها ومعرفة العناصر المكونة لها، وعلاقتها ببعضها ودور كل منها.
* تحديد درجة الإرتباط بين المتغيرات.
* الخروج بتنبؤات(12).

3.4-البحوث التفسيرية:

تسعى البحوث التفسيرية إلى تحديد عوامل ومسببات الظاهرة مع تتبع مساراتها ومحطات تطورها قصد: إما التحقق من صحة نظرية علمية سائدة أو قضية من القضايا النظرية المحددة، أو للتوصل إلى صياغة نظرية علمية تُستقرأ من الوقائع التجريبية والبيانات الميدانية، كالبحوث الخاصة مثلا بدراسة المنظمات الإقليمية والدولية الأحلاف العسكرية وغيرها.

4.4-البحوث الإستشرافية:

هناك بحوث تهدف لاستشراف أبعاد المستقبل، وذلك من خلال طرح عدة بدائل لتحديد معالم المستقبل عبر مجموعة من الأساليب كالسيناريوهات وغيرها، وتحديد شروط تحقق كل بديل مع رسم مسارات الظاهرة، كما هو الحال مثلا مع البحوث الخاصة بالأزمات.

تجذر الإشارة في الأخير إلى أن التصنيفات السابقة تشهد درجة معينة من التداخل بينها، وبالتالي عدم وجود تصنيف مستقل تماما ومتميز يمكن الإعتماد عليه في تقسيم البحوث، وهو ما ينعكس في النهاية على ما تشهده المناهج من اختلافات وتقاطعات في الميادين المعرفية المختلفة.